أشراط الساعة عند الامام البيضاوي في كتابة تحفة الابرار

Signs of the Hour at the Imam al-Adawi inscribing Tuhfat al-Abrar

أ.م.د. سعد احمد علوان

DR. Saad Ahmed Alwan

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

saad.alanezee٠@gmail.com

ملخص بحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين.

فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن كتاب هداية ورحمة للعالمين، وكان منهج القرآن تصحيح وترسيخ العقيدة في النفوس، يعرضها بأسلوب يقنع العقل، ويمتع العاطفة فجاءت عقيدة القرآن صافية ليس فيها تعقيدات فلسفية، ولا جدالات نظرية الا التي تخدم واقع الامة في معاشها ومعادها.

فالحمد لله الذي هيأ لدينه حماة ودعاة ينشرون الدين بالدعوة اليه والارشاد الى طريقه وحاشا لله ان يترك عباده من غير من يدعوهم اليه وهؤلاء هم الذين يرشدون الخلق الى الحق ويضيئون السبل للخلق ويصلحون ما افسده الناس فهم امن لكل خائف وطمأنينة وسكينة من كل سوء، ومن أولئك الدعاة الصالحين والعلماء العاملين الامام القاضي ناصر الدين البيضاوي الذي اثرت ان اجعل آراءه بعلم الساعة واشراطها عنوانا لبحثي .

ولما كان اليوم الاخر من الغيبيات اعان الله تعالى المؤمنين على الايمان به بأمور محسوسة فإن الغيب اذا ربط بالامور المحسوسة تيسر الايمان به على المؤمنين ومن هذه الامور اشراط الساعة.

الكلمات المفتاحية: – الامام البيضاوي – علم الغيب – الساعة – اشراط الساعه – رأي الامام البيضاوي

Abstract

Praise be to God، Lord of the Worlds، and prayers and peace be upon the Master of the Prophets and Messengers، and upon his family and good companions.

God، Blessed and Exalted be He، revealed the Qur'an as a book of guidance and mercy to the worlds، and the Qur'an's approach was to correct and consolidate the belief in the souls، presenting it in a manner that convinces the mind and entertains the emotion. So، the doctrine of the Qur'an came clear، with no philosophical complications، and no theoretical arguments except that serve the reality of the nation in its livelihood and its future.

Praise be to God، who has prepared for his religion protectors and advocates who spread the religion by calling to him and guiding him to his path. God forbid he leaves his servants without those who call them to him. These are the ones who guide the creation to the truth and light the paths for creation and fix what people have corrupted، so they are safe for everyone who is afraid and tranquility and tranquility from all evil، and from those Righteous preachers and working scholars، Imam al-Qadi Nasir al-Din al-Baydawi، whose opinion I chose to make of the science of the Hour and its conditions، the title of my research.

And since the last day was from the unseen، God Almighty helped the believers to believe in it with tangible matters، for if the unseen is linked to tangible matters، belief in it will be facilitated for the believers، and among these things are the portents of the Hour.

Thank God that His grace is righteous

Keywords: - Imam al-Baydawi - knowledge of the unseen - the clock - the signs of the hour

The opinion of Imam Al-Badawi

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له علام الغيوب لا يطلع احدا على غيبه الا من ارتضى، واشهد ان محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله.

ام بعد:

فمن المعلوم بداهة ان من اشرف العلوم واجلها هو علم العقيدة، والسبب انه العلم بالله تعالى وحقوقه على عباده ،وكذلك العلم بانبيائه وامور الاخرة من البعث والجنة والنار .

فهي من اهم المقاصد التي جاءت بها شرائع الله تعالى على لسان انبيائه، ومن هذه المقاصد: الايمان بالساعة واشراطها وما يتعلق بها، فالاكثار من ذكرها يزيد ايمان العبد ويجعله ممن ذكرهم الله تعالى ؛؛ الذين يؤمنون بالغيب ؛؛ سورة البقره .

ولما كان اليوم الاخر من الغيبيات اعان اللع تعالى المؤمنين على الايمان بع بأمور محسوسة فإن الغيب اذا ربط بالامور المحسوسة تيسر الايمان به على المؤمنين ومن هذه الامور اشراط الساعة .

فاهميتها متعلقة باهمية الايمان باليوم الاخر، والحديث عن اشراط الساعة خصوصا في هذه الازمنة يسهم في التوجيه التربوي للناس وتحسين سلوكهم الى سبيل الخير والاستعداد ليوم القيامة .

ومن ابرز الشخصيات الاسلامية التي تكلمت عن هذا الموضوع هو القاضي البيضاوي في كتابه تحفة الابرار، حيث برز هذا الموضوع وما يتعلق به وفصله ايما تفصيل وبين الحق فيه مما اختلف فيه .

ولان هذا الامام الجليل علم من اعلام الامة معروف ومشهور بين اهل العلم لم

اعرج على حياته، فكان عملي هو جمع آراءه فيما يخص علم الساعة وعلاماتها من خلال تتبع آراءه في كتابه تحفة الابرار .

وان من الدوافع التي دعتني لان اكتب عن راي هذا العلم الشامخ هو الامانة العلمية لاحياء تراث الخالدين من ائمتنا وعلمائنا ومربينا ومرشدينا وبيان ما اوضحوه في أي علم من العلوم الشرعية .

والدافع الاخر هو انني رأيت ان الكتابة عن شخصية فذة كشخصية القاضي البيضاوي رحمه الله وفاءا لتلك الشخصية التي كانت عجيبة من عجائب اهل التدين، وصنيعة من صنائع الايمان، ولطيفة من لطائف التقوى .

..وعلى هذا قامت خطة بحثي على مقدمة وتمهيد وعدة مطالب وخاتمة.

اما المطلب الاول فكان عن معنى الشرط والساعة من حيث اللغة والاصطلاح

و الطلب الثاني كان عن اشراط الساعة من حيث ترتيبها واقسامها

والمطلب الثالث فكان عن اشراط الساعه الصغرى التي ذكرها القاضي في كتابه التحفة

واما المطلب الرابع فهو خاص بالاشراط الكبرى للساعة

ثم الخاتمة التي ذكرت فيها اهم ما توصلت اليه من نتائج

هذا وقد راعيت-قدر طاقتي- منهج البحث العلمي فاعتمدت المراجع والمصادر الحديثة قدر الامكان فكانت بمثابة تاييدا لرأي القاضي البيضاوي، وقمت بذكر اسماء السور وارقام الايات التي وردت في النصوص او التي اعتمدتها في التعليق كما خرجت الاحاديث الواردة بذكر الراوي والجزء والصفحة .

هذا ولكل عمل لابد له من جهد وصعوبة ولكن لا يخفى ما حل ببلدنا العزيز واهله الاكارم فالله اساله القبول والاخلاص في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين .

تمهيد

اهمية الايمان بالغيب

يؤمن المسلمون بأن الله وحده هو الذي يعلم الغيب، دون من سواه من ملك مقرب أو نبي مرسل، وأنه يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب متى شاء وإذا شاء وبذلك جاءت الآيات والأحاديث، قال سبحانه: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾ سورة هود:١٢٣، وان من علوم الغيب علم الساعة التي اختص الله بعلمها فلا يعلم متى تقوم الا هو سبحانه وتعالى، وقد امر الله تعالة نبيه الكريم ﷺ انه اذا سالك الناس عن الساعة فقل علمها عند ربي قال سبحانه ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ سورة الاعراف :١٨٧ .

وقد ثبت عن النبي ﷺ قوله ((خمس لا يعلمهن الا الله))[1] ثم تلا ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ سورة لقمان :٣٤ .

وكذلك فكل ما صح عن النبي ﷺ انه اخبر بوقوعه فالواجب على كل مسلم الايمان به وهو من تحقيق شهادة انه رسول الله ﷺ .

فكل ما جاء عن النبيﷺ اسناد جيد اقررنا به واذا لم نقر بما جاء به الرسول ﷺ ودفعناه ورددناه رددنا على الله تعالى امره [2] قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ سورة الحشر:٧.

---

(١) البخاري، كتاب بدء الوحي برقم ٤٩.

(٢) ينظر :الروح في الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنه، محمد بن ابي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية ١/ ٥٧، دار الكتب العلمية – بيروت .

وللساعة اشراط قد وردت في الكتاب العزيز وصحيح السنة المطهرة وهي كثيرة وقد قسمت الى قسمين:

اشراط صغرى: وهي كثيرة جدا اولها بعثة الرسول ﷺ، وتقع في ازمان متطاولة وقد يقع بعضها مصاحبا للكبرى وتكون في جملة من النوع الذي اعتاده الناس وألِفوه

واشراط كبرى :وهي اشراط عظيمه تخالف المألوف من عادات الناس وتقع في ازمنة متقاربة لا تكاد تنتهي الاولى حتى تاتي التالية لقوله ﷺ:«خروج الآيات بعضها على إثر بعض؛ يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام»[1].

المطلب الاول
أشراط الساعة

أولاً: معنى الاشراط في اللغة والاصطلاح .

الأشراط جمع شَرَطَ بالتحريك، والشرط العلامة، وأشراط الساعة أي علاماتها، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه: شرط السلطان وهم أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه: الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض[2].

قال الجوهري: «أشراط الساعة علاماتها وأسبابها التي دون معظمها وقيامها»[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٤٨) وينظر: صحيح الجامع الصغير(٣/ ١١٠) (٣٢٢٢).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/ ٢٦٠، والنهاية في غريب الحديث:٢/ ٤٦٠، ولسان العرب: ٧/ ٣٢٩-٣٣٠، والقاموس المحيط:١/ ٦٧٣، والكليات: ٥٢٩، وتاج العروس: ١٩/ ٤٠٥.

(٣) الصحاح للجوهري: ٣/ ١٣٦.

وقال ابن فارس: «الشين والراء والطاء أصل يدل على عَلَم وعلامة،وما قارب ذلك من علم»[١].

وقال ابن منظور: «ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض أي هي علامات يجعلونها بينهم، ولهذا سميت الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها»[٢].

ثانياً: معنى الأشراط في الاصطلاح:

تباينت أقوال العلماء في معنى الأشراط اصطلاحاً

فمنهم من قال: «أما انتهاء الحياة الأولى، فإن لها مقدمات تسمى أشراط الساعة وهي أعلامها»[٣].

وكذلك المراد: «بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[٤].

وعرفت الاشراط أيضاً بأنَّها: العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها[٥].

ثالثاً: معنى الساعة في اللغة والاصطلاح

معنى الساعة في اللغة: سوع السين والواو والعين يدل على استمرار الشيء ومضيه. من ذلك الساعة سميت بذلك. يقال جاءنا بعد سوع من الليل وسواع، أي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٦٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٧/ ٣٣٠ .

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، تحقيق: حلمي محمد فودة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م: ١/ ٢٣.

(٤) فتح الباري: ١٣/ ٩٧.

(٥) أشراط الساعة، لعبد الله بن سليمان الغفيلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ٣٧ .

بعد هدء منه، وذلك أنه شيء يمضي ويستمر[١].

والساعة في الأصل تطلق بمعنيين:

أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم والليلة.

والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل، يقال جلست عندك ساعة من النهار: أي وقتاً قليلاً منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة[٢].

جاء في لسان العرب: (الساعة: جزء من أجزاء الليل والنهار، والجمع ساعات وساع ...)[٣].

معنى الساعة في الاصطلاح:

هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسُميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنَّها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[٤].

وعُرفت أيضاً بأنَّها: (الوقت الذي تقوم فيه القيامة إشارة إلى أنها ساعة خفيفة يقع فيها أمر عظيم وقيل سميت ساعة لوقوعها بغتة أو لطولها أو لسرعة الحساب فيها أو لأنَّها عند الله خفيفة مع طولها على الناس)[٥].

واصلها « القطعة من الزمان»[٦]، «وفي عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزءا من اليوم والليلة»[٧].

---

(١) معجم مقاييس اللغة:٣/ ١١٦ .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر:٢/ ٤٢٢ .
(٣) لسان العرب: ٨/ ١٦٩.
(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث:٢/ ٤٢٢ .
(٥) فتح الباري: ١١/ ٣٨٩.
(٦) فتح الباري: ٣/ ٤.
(٧) المصدر نفسه:١١/ ٣٤٨.

أمَّا القاضي البيضاوي فقد عرف الساعة، بقوله: «والساعة: هي أشد الدواهي وأفظعها من قولهم: داهية الدهياء وهو الأمر المنكر الذي لا يهتدي لدوائه، وأمرُّ من جميع ما يكابده الإنسان في الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها، ولم يعدَّ لها قبل حلولها»[1].

المطلب الثاني
أشراط الساعة

أولاً: ترتيب اشراط الساعة

لم أجد نصّاً صريحاً يدلُّ على ترتيب أشراط الساعة الكبرى حسب وقوعها، وإنَّما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب، وتسلسلها في الأحاديث لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء عطفها بالواو وهذا لا يقتضي الترتيب، فقد نجد حديثاً ذكرت فيه أشراط الساعة لصحابي واحد بلفظين مختلفين في ترتيب أشراط الساعة، وقد عقد القاضي البيضاوي باباً بعنوان « باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال[2] ذكر فيه الأمارات التي تسبق قيام الساعة واستشهد بالحديث الذي يرويه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((بادروا بالأعمال ستا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم))[3].

وعلق على ذلك بقوله: «أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات؛ فإنَّها إذا

(١) تحفة الأبرار ٣/ ٢٩٢ .

(٢) ينظر: تحفة الابرار ٣/ ٣٥٦ .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال: ٤/ ٢٢٦٧ برقم (٢٩٤٧).

نزلت دهشتهم وشغلتهم عن الأعمال أو سد عليهم باب التوبة وقبول العمل، «وأمر العامة»: يريد به الفتنة التي تعم الناس، أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم، و«خويصة»: تصغير خاصة، أي: الوقعة التي تخص أحدكم، يريد الموت، أو ما يقلق الإنسان في نفسه وأهله وماله فيشغله عن غيره»[1].

ثانياً: أقسام أشراط الساعة

بعد التتبع الطويل والاستقراء حول كتب العلماء تبين بأنَّ أهل العلم قد قسموا أشراط الساعة على قسمين: أشراط صغرى وأشراط كبرى .

١-: أشراط الساعة الصغرى:

وهي التي تتقدم الساعة بأزمان، فقسم منها ظهر وانقضى وفق ما اخبر به ﷺ، منها بعثته ﷺ وموته، وظهور نار من الحجاز٠٠٠ وغيرها، ومنها: أشراط ظهرت وما زالت تتابع في الاستمرار وهي كثيرة جداً يطول ذكرها، كقبض العلم، وظهور الجهل، والتطاول في البنيان، وتوسيد الأمر إلى غير أهلة، وتضييع الأمانة٠٠٠إلخ.

٢-: أشراط الساعة الكبرى:

وهي العلامات التي تظهر قرب قيام الساعة، العلامات العظام ثم يعقبها قيام الساعة، ومنها: خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، وخروج الشمس من مغربها، ونحو ذلك.

أما القاضي البيضاوي رحمه الله فقد عقد باباً في كتاب الفتن اسماه: باب قرب قيام الساعة وأنَّ من مات فقد قامت قيامته[2].

ومن خلال تتبعي لأقوال القاضي البيضاوي في كتاب التحفة وجدته يقسم الساعة

(١) ينظر: تحفة الابرار ٣/ ٣٥٦-٣٥٧ .

(٢) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٤ .

على ثلاثة أقسام[1]:

أ - الساعة الصغرى: وقد تقدم الكلام فيها مختصرا .

ب- الساعة الوسطى: وهي انقراض القرن الواحد بالموت، ويؤيد ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجال من الأعراب جفاة، يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: ((إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم))[2].

قال البيضاوي: « أراد بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم؛ ولذلك أضاف إليهم»[3].

ج- الساعة كبرى: وهي بعث الناس للجزاء، المراد هاهنا هذه .

فأمَّا القسمان الأولان، فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأمَّا القسم الثالث، فهو أشراط الساعة الكبرى، ويشترك فيه بعض الصغرى.

المطلب الثالث

أشراط الساعة الصغرى

أشراط الساعة الصغرى التي ذكرها أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين كثيرة جداً، وقد ذكر القاضي البيضاوي بعض الأشراط الصغرى في كتابه التحفة.

أولاً: توسيد الأمر لغير أهله وضياع الأمانة

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٣٥٦ وما بعدها، ٣/ ٣٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقائق، باب سكرات الموت: ٨/ ١٠٧ برقم (٦٥١١)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة: ٤/ ٣٣٦٩ برقم (٢٩٥٢).

(٣) تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٥ .

من علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ، وانتشرت وما زالت مستمرة إلى وقتنا الحاضر، توسيد الأمر إلى غير أهله، أي: الذي يتولى المناصب وزمام الأمور، كالوزارات، والجامعات، وجميع دوائر ومفاصل الدولة، العسكرية، والمدنية، والمهنية، وكل ما يتعلق بالمسلمين ممن ليس أهلاً لهذا، وهذا من تضييع الأمانة، وقد علمنا النبي ﷺ إياها بما نزل من القرآن، وبما فصلته السنة النبوية، والحفاظ عليها من الضياع [1].

وقد استشهد القاضي البيضاوي بالحديث الذي يرويه الامام البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة))[2].

وقد علق القاضي البيضاوي على الحديث إذ يقول: «أخرج الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد، ولأنَّ السؤال الأول لّما لم يكن ممّا يُمكن أن يُجيب عنه بجواب حقيقي يُطابقه ؛ لأنَّ تأقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، عدل عن الجواب إلى ما ذكر ما يدل على المسؤول عنه دلالة من أماراتها، وسلك في الجواب الثاني مسلك الأول لينتسق الكلام. و(التوسيد) في الأصل: أن يجعل للرجل وسادة ويسنده إليها، ثم استعمل في تفويض الأمر وإسناده إلى غيره، وإنما دل ذلك على دنو الساعة، لإفضائه إلى اختلال الأمر، ووهن الدين، وضعف الإسلام» [3].

ثانياً: ظهور نار الحجاز و تقارب الزمان

١-: ظهور نار الحجاز:

---

(١) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م: ١/ ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة،: ٨/ ١٠٤ برقم (٦٤٩٦).

(٣) تحفة الأبرار ٣/ ٣٤٨.

تكلم القاضي البيضاوي عن هذا الشرط عند شرحه للحديث النبوي قوله ﷺ ((لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[1]))[2]، وقال « ولعل ذلك إشارة إلى ما حدث في أيامنا، فإنه قد شاع في البلاد وتواتر ممن شاهد الحال: أن نارا خرجت من الحجاز بقرب المدينة، فسطعت واشتعلت حتى أحرقت أكثر بنيان المدينة، ولبثت نحوا من خمسين يوما تتقد وترمي بالأحجار المحماة المحمرة كالجمر من بطن الأرض، وكان ذلك في رمضان سنة أربع وخمسين وست مئة، وقد بقيت أثارها في تلك الصحارى»[3].

ثم استدرك القاضي البيضاوي على ذلك، بقوله: «فإن قلت كيف يصح أن يُحمل هذا عليها، وقد روى ابو هريرة في الحديث الذي يليه أنَّه ﷺ، قال: ((أول أشراط الساعة نار تحشر الناس))[4] وهي لم تحدث بعد؟ .

قلت: لعله لم يُرد بذلك أول الأشراط مطلقاً، بل الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على أنَّها تقوم عمّا قريب؛ فإنَّ من الأشراط بعثة النبي ﷺ ولم تتقدمها تلك النار، أو: أراد بالنار نار الحرب والفتن، كفتنة الترك فإنَّها سارت من المشرق إلى المغرب»[5].

٢-: تقارب الزمان:

من اشراط الساعة تقارب الزمان وقد وضح القاضي البيضاوي ما المقصود بتقارب الزمان عند شرحه لحديث أنس رضي الله عنه: ((لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون

(١) بصرى: بضم الباء مدينة حوران من الشام، وقيل: مدينة البصرة . ينظر تحفة الابرار ٣/ ٣٥٠ .
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار:٩/ ٥٨ برقم (٧١١٨)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز: ٤/ ٢٢٢٧ برقم (٢٩٠٢) .
(٣) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٥٠-٣٥١ .
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار: ٩/ ٥٨ برقم (٧١١٧) .
(٥) تحفة الأبرار ٣/ ٣٥١ .

السنة كالشهر)) اذ يقول: « معناه (أي تقارب الزمان): أنه تذهب بركة الزمان، فلا يتأتى للرجل في سنة ما كان يتأتى له في شهر، أو يكثر اشتغال الناس واهتمامهم بما يدهشهم من النوازل، ويغفلهم عن مر الزمان، بحيث لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم، لشدة ما هم فيه.

«وتكون الساعة كالضرمة بالنار»:أي: كزمان إيقاد الضرمة، وهي ما يوقد به النار أولا كالقصب والكبريت»[1].

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل))[2].

وقد فصل القاضي البيضاوي عند شرحه لهذا الحديث ما المقصود بالتقارب اذ يقول: «وفي حديث أبي هريرة: يتقارب الزمان»، أي: زمان الدنيا، وزمان الآخرة، فيكون المراد به اقتراب الساعة.

وقيل: أراد به تقارب أهله في الشر، أو تقاربه في النوازل والفتن.

ويحتمل أن يكون المراد به: أن تتسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض، فيتقارب زمانهم، وتتداني أيامهم[3].

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٣٥٢ .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان: ٤/ ٢٠٥٧ برقم (١٥٧).

(٣) تحفة الابرار ٣/ ٣٢٧ .

المطلب الرابع
اشراط الساعة الكبرى

أولاً: ظهور الامام المهدي

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى التي أخبر بها النبي ﷺ ظهور المهدي الذي يخرج في آخر الزمان ويتولى أمر هذه الأمة ويجدد لها دينها، وهو رجل يحكم بالإسلام ويملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً، وتنعم الأمة في عهده بالخيرات والنعم التي لم تنعم بمثلها قط .

ولم يتوسع القاضي البيضاوي في الكلام عن المهدي وانما اقتصر في بيان ذلك على بعض الأمور فقد تكلم عن صفاته عند شرحه لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المهدي مني، أجلى[1] الجبهة، أقنى[2] الأنف: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين))[3].

ثم عقب بعد ايراده للحديث قائلاً: « أي: المهدي يكون من نسلي وذريتي، واسع الجبهة وضاحا، لا شعر عليها، «أقنى الأنف»، أي: مرتفعة»[4].

ثم تكلم عن مكان خروجه وعن مدة لبثه في الارض[5] عند ايراده للحديث الذي

---

(١) الأجلى الخفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته. النهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٩٠.

(٢) القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه، يقال: رجل أقنى، وامرأة قنواء. النهاية في غريب الحديث: ٤/ ١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب المهدي: ٤/ ١٠٧ برقم (٤٢٨٥)، وأخرجه البغوي في شرح السنة، كتاب الفتن، باب المهدي: ١٥/ ٨٦ برقم (٤٢٨١) . قال الألباني عنه:(هذا حديث حسن) .

(٤) تحفة الأبرار ٣/ ٣٥٤ .

(٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٥٥ .

ترويه أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: ((يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ... فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون))[1].

والبيداء الواردة في الحديث السابق هي: « أرض ملساء بين الحرمين، وكل مفازة لا شيء بها تسمى: بيداء، وجمعها: بيد.

و»أبدال أهل الشام»: صلحاؤهم وخيارهم، سموا بذلك لأن الأرض لا تخلوا عنهم، إذا مات أحدهم أبدال الله مكانه آخر، «وعصائب أهل العراق»: جماعاتهم، وقيل: خيارهم، من قولهم: فلان من عصب القوم، وعصبهم، أي: خيارهم.[2].

والخلاصة مما سبق ذكره من الأحاديث وغيرها في شأن الإمام المهدي، التي ساقها القاضي البيضاوي تدل على انه يذهب بما هو المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي .

ثانياً: خروج المسيح الدجال

وهي إحدى أشراط الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ، وقد تكلم عنها القاضي البيضاوي فقد بين لماذا سمي بالمسيح الدجال عند شرحه لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: ذكر النبي ﷺ، يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال، فقال: ((إن الله

(١) أخرجه أبو داود، كتاب المهدي: ٤/ ١٠٧ برقم (٤٢٨٦) . والحديث ضعيف .
(٢) تحفة الأبرار ٣/ ٣٥٥ .

ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية))[1] .

وفي شرحه للحديث يقول: « وفي حديث ابن عمر: وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»، سمي مسيحا، لأنه ممسوح العين، أو لأن الخير مسح عنه، أو لأنه يمسح الأرض في أيام معدودة، ودجالا، لأنه خداع ملبس أو لأنه يغطي الأرض بأتباعه، من الدجل: وهو الخلط والتغطية، ومنه قولهم: مدجل، أي: مهنوء بالقطران، ودجلة النهر ببغداد فإنها غطت الأرض بمائها، أو لأنه مطموس العين، من قولهم: دجل الأثر: إذا عفا ودرس، أو لأنه كذاب فيكون أيضا من الدجل بمعنى الخلط، فإن الكذاب ملبس مخلط»[2] .

و(العنبة الطافية): هي الناتئة عن حد أخواتها، من الطفو: وهو أن يعلو الماء ما وقع فيه، وهذا لا يناقض ما روي في صفة عينه: «إنها ليست بناتئة ولا حجراء» أي: لا طافية مرتفعة، ولا غائرة متحجرة -لإمكان اجتماع الوصفين بحسب اختلاف العينين»[3] .

وتكلم عن صفاته استنادا للأحاديث الكثيرة التي جاءت بهذا الخصوص فهو رجل من بني آدم، له صفات كثيرة، يخرج في آخر الزمان، فيفتتن به كثير من الناس، يجري الله على يديه من الخوارق ما يفتتن بها ضعاف الخلق، ومن الأحاديث[4] التي أوردها القاضي البيضاوي في وصفه ما جاء في حديث النَّواس بن سمعان رضي الله عنه، قال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال: ٣/ ١١٣ برقم (٢٨٩٢)، ومسلم، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١/ ٥٥ برقم (١٦٩) .

(٢) تحفة الأبرار ٣/ ٣٥٧ .

(٣) تحفة الابرار ٣/ ٣٥٧ -٣٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٣٥٩ .

((إنَّه شابّ قطط[1]، عينه طافئة[2]، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن[3]، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا ...))[4].

وفي حديث عبادة بن الصامت، أنه حدثهم، قال رسول الله ﷺ: ((إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج[5]، جعد[6]، أعور مطموس العين، ليس بناتئة، ولا حجراء[7]، فإن ألبس عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور))[8].

وقد نبه القاضي البيضاوي عن الأحاديث التي وردت في وصف الدجال، وورود

---

(١) اي شديد الجعودة. ينظر تحفة الابرار ٣/ ٣٦٢ .

(٢) هي الناتئة عن حد أخواتها من الطفو، وهوأن يعلو الماء ما وقع فيه. تحفة الابرار٣/ ٣٥٨.

(٣) عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائد بن مالك بن المصطلق وأمه هالة بنت خويلد أفاده الدمياطي وقال ذلك أيضاً عن أكثم بن أبي الجون وأنه قال يا رسول الله هل يضرني شبهه قال لا أنت مسلم وهو كافر حكاه عن بن سعد والمعروف في الذي شبه به ﷺ أكثم بن عمرو بن لحي جد خزاعة لا الدجال كذلك أخرجه أحمد وغيره وفيه دلالة على أن قوله ﷺ إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة أي في زمن خروجه ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي والله أعلم. فتح الباري:٦/ ٤٨٨-٤٨٩ .

(٤) جزء حديث طويل أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه: ٤/ ٢٢٥٠ برقم (٢٩٣٧).

(٥) أي: متدان صدور قدميه، متباعد العقبين والساقين، خلاف الأروح. تحفة الابرار ٣/ ٣٧٤.

(٦) الجعد جعد الشعر وهو نقيض السبط وقد جعد جعودة. طلبة الطلبة، لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١هـ :٦٣ .

(٧) الحجراء الذي قد انخسفت فبقى مكانها غائراً كالجحر. معالم السنن: ٤/ ٣٤٦.

(٨) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال: ٤/ ١١٦ برقم (٤٣٢٠). والحديث صحيح .

بعض الألفاظ المتعارضة في الوصف، ففي حديث ابن عمر: ((إنَّه أعور عين اليمنى))[١]، وفي حديث حذيفة: ((إنَّه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة))[٢] وفي حديثه أيضاً ((إنَّه أعور عين اليسرى)).

وعلق على ذلك قائلاً: « لو لم يكن الاختلاف بين هذا الحديث وحديث ابن عمر من سهو الراوي، فلعله -عليه الصلاة والسلام- أراد بالعور في إحدى العينين: ذهابها، وفي الأخرى: تعيبها[٣] .

وقال: «والظفرة بالتحريك لحمة تنبت عند المآقي من كثرة البكاء أو الماء، وقيل: جلدة تخرج من العين من الجانب الذي يلي الأنف، وهي يحتمل أن تكون في العين الممسوحة، وأن تكون في العين الأخرى، ولا تواري الحدقة بإسرها لتعميها»[٤].

والخلاصة مما تقدم يتضح لنا أن رأي القاضي البيضاوي موافق لرأي أهل السنة في الإيمان بظهور المسيح الدجال، وأنه من علامات الساعة الكبرى وأشراطها، لورود الأحاديث الصحيحة بهذا الخصوص .

ثالثاً: قصة ابن صياد

عقد القاضي البيضاوي باباً في كتابه تحفة الابرار[٥] اسماه «باب قصة ابن صياد»، وقد تناول فيه قصته منها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما،: ((أن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قبل ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال: ٣/ ١١٣ برقم (٢٨٩٢)، ومسلم، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١/ ٥٥ برقم (١٦٩) .

(٢) أخرجه مسلم، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ٤/ ٢٢٤٩ برقم (٢٩٣٤) .

(٣) تحفة الأبرار ٣/ ٣٥٩ .

(٤) تحفة الأبرار ٣/ ٣٥٩ .

(٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٧٦ .

وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ بيده، ثم قال لابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه وقال: آمنت بالله وبرسله فقال له: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال النبي ﷺ: خلط عليك الأمر ثم قال له النبي ﷺ: إني قد خبأت لك خبيئا؟ فقال ابن صياد: هو الدخ، فقال: اخسأ، فلن تعدو قدرك فقال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله)) [1].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد، وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبي ﷺ وهو مضطجع - يعني في قطيفة له فيها رمزة أو زمرة [2]- فرأت أم ابن صياد رسول الله ﷺ، وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد ﷺ، فتناهى ابن صياد، فقال النبي ﷺ: ((لو تركته بين)) [3].

قال القاضي البيضاوي في شرحه للحديث: «قوله: «إن يكن هو» الضمير للدجال ويدل عليه ما روي أنَّه ﷺ قال: ((إن يكن هو فلست صاحبه، إنَّما صاحبه عيسى ابن مريم، وإن لا يكن، فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد فلم يزل رسول الله صلى

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام: ٢/ ٩٣ برقم (١٣٥٤)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٤/ ٢٢٤٤ برقم (٢٩٣٠).

(٢) وهو صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم قوله. ينظر تحفة الابرار ٣/ ٣٧٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام: ٢/ ٩٣ برقم (١٣٥٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٤/ ٢٢٤٤ برقم (٢٩٣١).

الله عليه وسلم مشفقا أنه الدجال))[1].

و»هو»خب كان، واسمه مستكن فيه، وكان حقه: إن يكنه، فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المتصل، عكس قولهم: لولاه.

ويحتمل أن يكون تأكيدا للمستكن والخبر محذوف، على تقدير: إن يكن هو هذا فإن قلت: كيف منع من قتله على التقدير الثاني، قال: «لا خير لك في قتله»، وعلله بكونه معاهدا في الرواية الأخرى المذكورة في آخر الحسان وقد ادعى النبوة؟!.

قلت: لم يدع النبوة صريحا، فإن قوله: «أتشهد أني رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ «استفهام لا تصريح فيه على دعاء الرسالة، مع أنه لم يكن بالغا حينئذ.

«وفيه: وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه، وابن الصياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها رمرمة»

«يختل»: يرتاد معافصته، من الختل: وهو طلب الشيء بحيلة.[2]»[3].

ومن خلال النصوص التي أوردها القاضي البيضاوي نستنتج ان البيضاوي لم يذهب الى ان ابن صياد هو المسيح الدجال فبعد أن يورد الحديث الذي يرويه الشيخان عن محمد بن المنكدر رضي الله عنه قال: ((رأيت جابر ابن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال، قلت: تحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم، فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم))[4].

---

(١) أخرجه الامام احمد في مسنده ٣/ ٣٦٨ برقم (١٤٩٩٨) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٣/ ٢١٤ برقم (١٤٩٥٥)، وعلق شعيب الأرنؤوط على مسند الإمام أحمد وقال عنه: (إسناده على شرط مسلم) .

(٣) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٧٨-٣٧٩ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب باب من رأى ترك النكير من النبي صلى الله عليه وسلم: ٩/ ١٠٩ برقم (٧٣٥٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٤/ ٢٢٤٣ برقم (٢٩٢٩) .

«وفي حديث جابر: سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره»[1].

ويوضح رأيه في ابن صياد قائلاً: « لعل عمر أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوة، أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم، لا أنه المسيح الدجال»[2].

رابعاً: نزول عيسى عليه السلام

من علامات الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي ﷺ نزول عيسى عليه السلام .

إذ ذكر القرآن أنَّ اليهود حاولوا قتله،قال تعالى﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾سورة النساء :١٥٧ كما إنَّه سوف ينزل في آخر الزمان، ونزوله بعد خروج الدجال، وانتشار الفساد في الأرض.

وقد تواترت الأخبار في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة، وهذا ما نصّ عليه القرآن الكريم، بقوله﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ سورة النساء: ١٥٩ .

يعني: عيسى عليه السلام وقد استدل القاضي البيضاوي على نزول عيسى عليه السلام بما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب باب من رأى ترك النكير من النبي صلى الله عليه وسلم: ٩/ ١٠٩ برقم (٧٣٥٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ٤/ ٢٢٤٣ برقم (٢٩٢٩) .
(٢) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٠-٣٨١ .

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم:﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1].

ويقول: «وفي حديث أبي هريرة: تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها»، ومعناه: أنه يكثر المال، ويزهد الناس في الدنيا، ويرغبون فيما يقربهم الى الله تعالى، حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها[2].

وكذلك يستدل بحديث آخر عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم (ﷺ)، فيقول: أميرهم تعال صلِّ لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة))[3] .

ويعلق القاضي البيضاوي على الحديث قائلاً: « «وفي الحديث المختتم به الباب: فنزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله تعالى هذه الأمة»

«تكرمة الله»: نصب على المفعول لأجله، والعامل محذوف، والمعنى: شرع الله أن يكون إمام المسلمين منهم، وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيما لشأنهم، أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام): ٤/ ١٦٨ برقم (٣٤٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد (ﷺ): ١/ ١٣٥ برقم (١٥٥).

(٢) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٣ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى (عليه السلام)حاكماً بشريعة نبينا محمد (ﷺ): ١/ ١٣٧، برقم (١٥٦) .

(٤) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٣ -٣٨٤.

يتضح لنا مما تقدم أن رأي القاضي البيضاوي موافق لقول أهل السنة، وغيرهم من أهل الملة القائلين: بنزوله (عليه السلام) إلى الأرض، وحكمه بشريعة نبينا محمد (ﷺ)، وان نزوله علامة من العلامات الكبرى الدالة على قيام الساعة .

خامساً: باب النفخ في الصور

النفخ في الصور هو أمارة انتهاء اجل الدنيا والحياة على وجه البسيطة، فالنفخ في الصور هو المؤذن بقيام الساعة، وبعده يكون الصعق والبعث كما قال ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ سورة الزمر :٦٨.

وقبل ان نتكلم على الصور نعرج على تعريفه في اللغة والاصطلاح :

فالصور لغةً: يراد به: القرن، ومنه قوله تعالى:﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾سورة الانعام :٧٣

وقيل: هو جمع صورة مثل وبسرة وبسر، أي ينفخ في صور الموتى للأرواح[١].

وفي الاصطلاح: وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى، إلى المحشر، وقال بعضهم: إن الصور جمع صورة، يريد صور الموتى ينفخ فيها الأرواح [٢] ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ سورة المدثر :٨-٩. والراجح هو هو قرن ينفخ فيه، وهذا ما تظافرت به الأخبار عن النبي ﷺ [٣]، كما جاء بيانه في

(١) ينظر: الصحاح، للجوهري: ٣/ ٧١٧، ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٤/ ٤٧١ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٦٠، وينظر: لسان العرب: ٤/ ٤٧٦، والمعجم الوسيط: ١/ ٥٢٨ .

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري: ١١/ ٤٦٢ - ٤٦٣، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣/ ٢٨١ عند تفسيرهما للآية (٧٣) من سورة الأنعام .

حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال إعرابي: يا رسول الله ما الصور، قال:» قرن ينفخ فيه»[1] [2].

سادساً: عدد نفخات الصور

اختلف العلماء في عدد نفخات الصور على قولين :-

القول الأول: نفختان.

النفخة الأولى: وهي نفخة الصعق أو الإماتة، كما في قوله تعالى﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ سورة الزمر :٦٨

النفخة الثانية: وهي نفخة البعث والإحياء، كما في قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ سورة الزمر :٦٨، وقوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُون ﴾سورة يس: ٥١

(١) مسند الإمام احمد: ١١/ ٥٣، برقم (٦٥٠٧) قال شعيب الارنؤوط: اسناده صحيح رجاله ثقات، المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر: ٢/ ٥٥٠، برقم (٣٨٧٠)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: صحيح .

(٢) ينظر: جامع اللآلي شرح بدء الأمالي، للإمام سراج الدين علي بن عثمان الأوشي، تحقيق: كنعان احمد محمد، ط١، دار البشائر الاسلامية، ٢٠٠٨م، ص٢٦٧.

وهذا ما اختاره ابن جرير الطبري[١]، والقرطبي[٢]، وابن حجر[٣]، وغيرهم[٤] .

القول الثاني: ثلاث نفخات.

وممن ذهب إلى هذا القول،ابن العربي[٥]، وابن كثير[٦]، والسفاريني[٧].

النفخة الأولى: نفخة الفزع، وهي التي يتغير بها هذا العالم، وهي المقصودة بقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ سورة النمل: ٨٧.

النفخة الثانية: وهي نفخة الصعق والموت، وفيها هلاك كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ سورة الزمر :٦٨.

النفخة الثالثة: وهي نفخة البعث والإحياء، والقيام من القبور لرب العالمين، كما قال تعالى﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾سورة يس: ٥١

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٩/ ٣٤١ .
(٢) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: ٤٩٠ .
(٣) ينظر: فتح الباري: ٦/ ٤٤٦.
(٤) ينظر:تفسير المنار:٨/ ٢٩٨ .
(٥) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة:٥١٠، وفتح الباري: ١١/ ٣٦٩ . .
(٦) النهاية في الفتن والملاحم:١/ ٢٧٩ .
(٧) ينظر: لوامع الأنوار البهية:٢/ ١٦١، والقيامة الصغرى، عمر سليمان الاشقر، ط١، مكتبة الفلاح، دار النفائس ص٤١ .

عدد النفخات عند القاضي البيضاوي

عقد القاضي البيضاوي بابا بعنوان « باب النفخ في الصور»[1] لم يتعرض الى تعريف الصور بل ذكر الحديث الذي يرويه الامام البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابي هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوما قال أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل .. الخ)) [2].

ويشرح القاضي البيضاوي بعض الفاظ الحديث اذ يقول: « قال ابيت: أي: لا أدري أن الأربعين الفاصل بين نفختين أي شيء: أيام أو شهور أو أعوام، وأمتنع عن الكذب عن الرسول، والإخبار عما لا أعلم»[3].

وذكر حديثا آخراً[4] عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا))[5].

وفسر الحديث بقوله: « أي: كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور؟ فكنى عن ذلك بأنَّ صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه وهو مترصد مترقب لأن يُومر

---

(١) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، ٦/ ١٦٥ برقم (٤٩٣٥)، ومسلم، كتاب الفتن، باب ما بين النفختين، ٤/ ٢٢٧٠ برقم (٢٩٥٥) .

(٣) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٨٩-٣٩٠ .

(٤) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٩١

(٥) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصور:٤/ ١٩٨ برقم (٢٤٣١) . وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح .

فينفخ فيه، والله أعلم[1]».

ومن خلال النصوص التي أوردها القاضي البيضاوي فانه يذهب الى ان عدد نفخات الصور نفختان، نفخة الفزع والصعق وهي النفخة الأولى، ونفخة البعث وهي الثانية، وهو مذهب جمهور العلماء[2] واستدل على ذلك بحديث ابي هريرة المروي سابقاً، وكذلك ذهب الى عدم تحديد المدة بين النفختين والتسليم إلى ظاهر النص لحديث ابي هريرة ايضاً حيث لم يرد فيه تحديداً للمدة وهو التفويض وعدم الخوض في تحديد هذه المدة لصحة الحديث الوارد بهذا الشأن، كما أن من حدد المدة فقد اجتهد على ذلك برأيه .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الامين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى اثره الى يوم الدين، وبعد :

لعلنا نستطيع بعد ما تقدم من دراسة لآراء الامام البيضاوي الخاصة باشراط الساعة وبيان ذلك نتوصل الى الآتي من نتائج واهمها :

١- ان الامام البيضاوي قد اوضح ما اختلف فيه من علامات تسبق قيان الساعة واجلى المبهم منها ورجح المختلف فيه .

٢- دفاعه عن آراءه في هذه المسألة لبيان المعتقد الصحيح في ما يتعلق بالغيب واشراط

---

(١) ينظر: تحفة الأبرار ٣/ ٣٩١ .

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي: ٤/ ٥١٣، جامع اللآلي، للإمام سراج الدين بن الأوشي: ٢٦٨ـ٢٦٩، مفاتيح الغيب، للرازي: ٢٧/ ١٦ـ١٧، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٧/ ٤٢٣، فتح الباري، لابن حجر: ١١/ ٣٦٩، هداية المريد لجوهرة التوحيد، للإمام العلامة إبراهيم اللّقاني المصري، ص٣٠٥، روح المعاني، للآلوسي: ٢٤/ ٢٨، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للشيخ البيجوري: ١٧٩.

الساعة .

٣- قوة الحجة والشخصية التي اظهرها هذا الامام في بيان الحق من خلال ايراد الادلة الصحيحة .

٤- اشراط الساعة من الامور المهمة في هذا الوقت لاقبال الناس على الدنيا ونسيان الاخرة او الاستعداد لها فإيضاحها يقوي الايمان في القلوب ويزيد من الاستعداد للقدوم على الاخرة .

٥- ان الايمان بالغيب من صفات المؤمنين وكل من يدعي علم الغيب دون الوحي فهو مكذب لخبر الله تعالى والذي يبين الن علم الغيب خاص به سبحانه .

٦- الواجب على كل مسلم الايمان بما اخبر به النبي ﷺ فعبادة الله تعالى مقيدة بمتابعة النبي ﷺ .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المصادر

- القران الكريم.

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت.

٢- أشراط الساعة، لعبد الله بن سليمان الغفيلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

٣- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ

٤- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ،القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي

(ت ٦٨٥هـ) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ٢٠١٢م .

٥- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، برهان الدينى ابراهيم البيجوري، المكتبة العصرية، بيروت .

٦- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض،ط١، ١٤٢٥ هـ .

٧- تفسير القرآن العظيم،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي

٨- تلخيص المستدرك ،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، دار المعارف، الهند .

٩- جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير بن يزيد بن الطبري ،تحقيق: أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ،ط١، ٢٠٠٠ م

١٠-الجامع الصحيح سنن الترمذي ،محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ،دار إحياء التراث العربي .

١١-جامع اللآلي شرح بدء الامالي في العقائد، سراج الدين بن علي بن عثمان الأوشي ،دار البشائر الاسلامية .

١٢-الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار طوق النجاة دار الفكر - بيروت

١٣-الروح، محمد بن ابي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٧٥ .

١٤-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود أبي الثناء الألوسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٥-سنن أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني

(المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعَيب الأرنؤوط: دار الرسالة العالمية .
١٦-شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ،تحقيق: شعيب الارناؤط، المكتب الاسلامي، شهرته: ابن كثير، مؤسسة قرطبة
١٧-صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)المحقق: شعيب الأرنؤوط :مؤسسة الرسالة - بيروت
١٨-صحيح الجامع الصغر، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٢هـ
١٩-طلبة الطلبة، لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ)، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١ه .
٢٠-فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ .
٢١-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
٢٢-القيامة الصغرى، عمر سليمان الاشقر، ط١، مكتبة الفلاح، دار النفائس.
٢٣-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ،أيوب بن موسى ابو البقاء الحنفي ،عدنان درويش ،مؤسسة الرسالة - بيروت
٢٤-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر - بيروت ط٣، ١٤١٤ ه
٢٥-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري دار العلم للملايين - بيروت ،ط٤، ١٩٨٧ م.

٢٦-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق،ط٢، ١٩٨٢ م

٢٧-المستدرك على الصحيحين لمستدرك على الصحيحين ،الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة - بيروت

٢٨-المسند: الامام أحمد بن محمد بن حنبل،دار الحديث، القاهرة .

٢٩-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ،دار الجيل بيروت .

٣٠-معالم السنن، الحسين بن مسعود البغوي ،تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة .

٣١-المعجم الوسيط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين - القاهرة.

٣٢-معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٢م.

٣٣-مفاتيح الغيب ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت،ط٣، ١٤٢٠ هـ

٣٤-منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

٣٥-المنهاج في شعب الإيمان للحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، تحقيق: حلمي محمد فودة دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٣٦-النهاية في الفتن والملاحم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت لبنان

٣٧-النهاية في غريب الحديث والاثر ،ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى.

٣٨-هداية المريد لجوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم اللّقاني المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.